رأي القدس

افغانستان: انتفاضة الحلفاء

■ تواجه القيادتان، العسكرية والسياسية، في واشنطن خيارات صعبة في افغانستان، لا تقل خطورة عن نظيرتها في العراق. فالى جانب تورط القوات الامريكية في حادث اطلاق النار على مدنيين ابرياء في كابول، كانوا يحتجون على مقتل زميل لهم دهساً بمدرعة امريكية، واستشهاد العشرات منهم، ها هي حركة طالبان تعلن رسميا سيطرتها على اربع محافظات سيطرة كاملة.

الشارع الافغاني في حالة غليان، وعاصمته كابول تشهد انتفاضة طاجيكية ضد القوات الامريكية وحكومة كارزاي. فضحايا الانتقام الامريكي كانوا من الطاجيك، انصار تحالف الشمال الذي يعتبر من اكثر الافغان تأييداً ومساندة لمشروع الاحتلال الامريكي.

افغانستان تعيش حالياً مرحلة مماثلة لتلك التي سبقت زحف طالبان على كابول واستيلاءها على المدن الافغانية الواحدة تلو الأخرى وسط مساندة شعبية. ليس حباً بهم بقدر ما هو كراهية بالحكومة وميليشياتها.

البلاد تشهد حالة من الفوضى وانعدام الأمن، وعودة الميليشيات ولوردات الحرب، وانهيار شبه كامل في الاقتصاد. وهذا ما ادى الى الانتفاضة الشعبية الاخيرة في كابول. فالمتظاهرون الذين قذفوا القوات الامريكية بالحجارة، واقتحموا البرلمان وحاصروا القصر الرئاسي انما كانوا يعبرون عن احباطهم ويأسهم من تدهور الاوضاع، ووجدوا في الحادث المروري المفجر او عود الثقاب لاشعال فتيل هذا الاحتقان المتنامي.

المجزرة التي ارتكبتها القوات الامريكية قبل ثلاثة ايام في كابول وراح ضحيتها ثلاثون مدنيا، سقطوا برصاص الجنود الامريكيين الى جانب اصابة 160 آخرين، لا تقل في خطورتها عن مجزرة حديثة العراقية، بل تفوقها ليس من حيث عدد الضحايا وانما من حيث الظروف المحيطة بها. فالقتلى هم من حلفاء واشنطن والمؤيدين لاحتلالها لافغانستان، وممثلوهم يشاركون في حكومة كارزاي.

الرئيس الافغاني حاول ان يمتص الغضب الشعبي المتنامي ازاء هذه المجزرة بالاعلان عن اجراء تحقيق رسمي لمعرفة الظروف والاسباب التي ادت الى وقوعها، ولكن هذه المحاولة محكومة بالفشل، لأن مشاعر العداء لواشنطن في تصاعد مستمر في اوساط الافغان، وهذا ما يجعل حركة طالبان تحقق نجاحات كبيرة في جهودها لاعادة تجميع صفوفها، وحشد المقاتلين والمتطوعين لمقاومة الحكومة والقوات الاجنبية المتواجدة في البلاد.

افغانستان هي مثل آخر على فشل السياسات الامريكية في العالم الاسلامي، ومنطقة الشرق الاوسط على وجه التحديد، فقد وعد الامريكيون بتحويل افغانستان الى جنة بعد اسقاط نظام طالبان وتدمير الملاذ الآمن لتنظيم «القاعدة» في تورا بورا. ولكن جميع هذه الوعود تبخرت، وجفت منابع اموال المساعدات، او انحصرت في الفتات.

الشعب الافغاني، مثل شقيقه العراقي، لم يحصد الا الشوك والانهيار الأمني، وغرق البلاد في الفوضى الدموية، وسط تعتيم اعلامي غربي مقصود. فلا أحد يريد ان يظهر على الملأ فشل الحرب الامريكية على الارهاب واسبابه، وعودة تنظيم «القاعدة» وحركة طالبان، وهما عنوان هذه الحرب، الى المسرح من جديد ولكن بقوة اكبر.

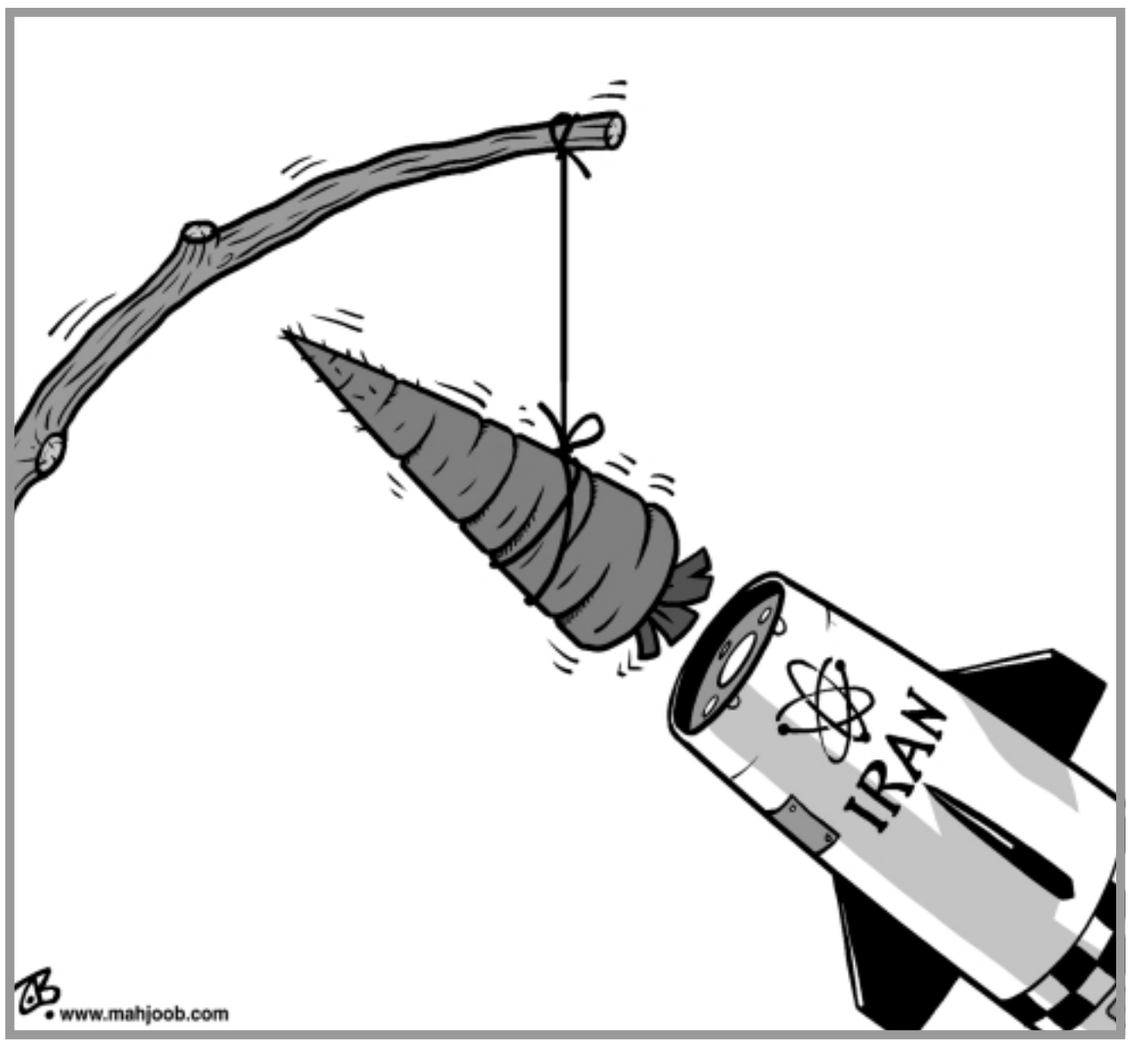

المعرفة السورية والنطاسي الغربي: ضحالة على ضحالة!

صبحي حديدي *

■ ابتُلينا، نحن العرب، بطراز من الكتاب والمعلقين الغربيين الذين ينقلبون، أو نقلبهم نحن عن طريق بعض عباقرتنا أبناء جلدتنا، إلى نطاسيين خبراء لا يُشق لهم غبار في تشخيص أمراضنا السياسية والإجتماعية والثقافية والنفسية، وذلك بالرغم من اعتمادهم شبه الكلي على معرفة بائسة جاهزة سطحية قائمة على الكليشيهات، وعلى هذه وحدها حصراً أحياناً. وشر البلية أن بعض هؤلاء يصفي حساباته المحلية، العقائدية غالباً، على حساب ما هو جوهري وحاسم وغير قابل للمساومة في قضايا شعوبنا، كما حين يرتأي يساري بريطاني أو أمريكي أو فرنسي أن العاجل هو مناهضة الولايات المتحدة، وأن انتقاد النظام السوري في هذه الأيام (حتى في ما يخص ملفات جلية لا تقبل الإلتباس، مثل انتهاك حقوق الإنسان واعتقال المثقفين لمجرد أنهم وقعوا بياناً سياسياً) ليس ملائماً من جانب، ويصب المياه في طواحين البيت الأبيض من جانب ثان!

وجه آخر للبلية أن يتنطح معلق غربي لهذه الملفات تحديداً، فيكتب عنها تخصيصاً، لكنه يحشد فيها من الأغلاط والمغالطات ما يُخجل ويُضحك في آن، ويتكئ في التوصل إلى خلاصاتها على مصادر معلومات و«خبراء» ونطاسيين محليين لا تقل معرفتهم بؤساً، وأحياناً: خبثاً وضلالة وتضليلاً، عن المعرفة البائسة الأم التي منها يغرف صاحبنا المعلق الغربي. هذه حال سايمون تيسدول، المعلق الشهير ورئيس التحرير المساعد في صحيفة الـ«غارديان» البريطانية، الذي كتب قبل يومين تعليقاً حول الأوضاع السورية بعنوان «التطهير الصامت في سورية»، استقى بعض أهم معطياته من ريم علاف: الزميلة في «شاتام هاوس»، المعهد الملكي للشؤون الدولية (وهذه نفهمها، من باب الإختصاص)، ولكن التي يحدث أيضاً أنها عضو في ما يُسمى «الجمعية البريطانية ـ السورية»، حيث الرئيس المشارك هو الدكتور فواز الأخرس، والد السيدة أسماء الأخرس، عقيلة بشار الأسد (وهذه ينبغي أن يصعب فهمها... خصوصاً في الأخلاقيات الأنغلو ـ ساكسونية التي يتمسح بها تيسدول).

ونسارع إلى القول، خشية إساءة الفهم التي تقترن عادة باعتراض من هذا النوع، إن من حق تيسدول التشاور حول موضوعاته مع مَن يشاء من الخبراء والنطاسيين، شريطة أن لا يقتصر التشاور على مصدر متعاطف مع السلطة، منتسب إلى مؤسسات شبه سلطوية، إذا لم يكن ممالئاً للسلطة صراحة وعلانية. في عبارة أخرى، غني عن القول إن الواجب كان يقتضي قيام تيسدول بالتشاور مع شخصية سورية معارضة في دمشق، مستعدة لطرح رأي أكثر عمقاً، وأفضل تمثيلاً بالمعنى السياسي؛ أو مع مثقف سوري معارض مقيم بدوره في دمشق (وهم اليوم، لحسن الحظ ومدعاة اعتزازنا، كُثُرٌ على دراية وكفاءة ومقدرة وشجاعة)؛ أو الوقوف على رأي مثقف سوري يتحلى بالسمات ذاتها ولكنه يقيم في بريطانيا موطن الـ«غارديان»، من طراز الباحثة والإعلامية المتمرسة رنا قباني مثلاً؛ أو، أخيراً وفي أضعف الإيمان، الرجوع إلى كتاب موثوق أو كاتب بريطاني ضليع في الشؤون السورية المعاصرة، مثل ألن جورج وعمله المتميز جداً «سورية: لا خبز ولا حرية»...

هل غابت اعتبارات أساسية كهذه، مهنية وأخلاقية في الجوهر، عن ذهن تيسدول حين اكتفى بما أمدته به علاف وحدها؟ الأرجح أنه كان يعرف هذه الحاجة، وكان يدرك ضرورتها قبل دلالتها، لكنه لم يفعل لأن أي طراز آخر من المعرفة المعارضة قد يضع في فمه (حتى بلسان الآخرين!) كلاماً يتعارض مع مزاجه، ومع فلسفة يسار الوسط عموماً، في تفادي مناهضة ما تناهضه الولايات المتحدة، على حق أو على باطل! لكنه، في هذه على وجه الدقة، يتناسى أن نظام بشار الأسد ـ مثل نظام أبيه في الواقع ـ لم يكن في أي يوم خصماً للولايات المتحدة. كما أن البيت الأبيض لم يناهض هذا النظام على أي نحو جدي، في أي يوم، ليس أثناء اشتداد الطبيعة الفاشية للنظام (سنوات المجازر والمذابح الجماعية في الداخل السوري) فحسب، بل حتى حين لاح أن الأسد الأب يناوش أمريكا عن طريق الفئات اللبنانية المنخرطة في خدمته (كما في تفجير السفارة الأمريكية، ثم مقر المارينز، في بيروت سنة 1983).

كذلك يتناسى تيسدول أن «التطهير الصامت» الذي يتحدث عنه لم يكن تطهيراً على أي نحو يفيد المفردة (المستمدة من تراث حملات التطهير الستالينية، غالباً!)، ولم يكن صامتاً على الإطلاق، وأياً كان المعنى المقصود بالصمت هنا. النظام، ببساطة، شن حملة اعتقالات منظمة منهجية، كانت فيها أسماء المعتقلين منتقاة منتخبة لأغراض شتى مدروسة، وكان العدد مرشحاً للتزايد لولا أن السلطة عدلت ـ حتى إشعار آخر، كما ينبغي التحذير ـ عن سياسة القتل الجماعي، وتزرع الدنيا بالتشويه والأضاليل، امعاناً في تخريب المسار والمصير»...!

وأما الدليل الثالث فهو هذا السيناريو الميلو ـ درامي الذي تتناقله سورية منذ يوم أمس، من أن عريضة أخرى مضادة يجري تداولها وأخذ تواقيع المثقفين السوريين عليها (وقد يأتي الدور قريباً على المثقفين اللبنانيين، من طينة ناصر قنديل!)، تدين إعلان دمشق ـ بيروت/بيروت ـ دمشق، وتدين الموقعين عليه، وتشدد على أن «ما ورد في الإعلان عن وجود القوات السورية في لبنان يتجاهل في صورة مؤسفة تفتقر الى الموضوعية دور القوات السورية في وقف الحرب الأهلية اللبنانية واستعادة الأمن والنظام وسلطة الدولة ودورها في احتضان المقاومة الوطنية اللبنانية وصولا الى إنجاز التحرير».

الأطرف، أو الأخطر ربما، أن البيان يربط ـ صراحة، وليس مواربة أو تأتأة ـ بين الإعلان والقرار الدولي 1680، بما يوحي وكأن المثقفين السوريين واللبنانيين العصاة هم الذين ألهموا مجلس الأمن الدولي، أو لعلهم أداروا المشاورات السرية بين الدول دائمة العضوية! وأما عنصر الدراما، أو الميلو ـ دراما غالباً، فهو هذا النص التالي: «إن الموقعين على هذا البيان، إذ يؤكدون ثقتهم في عدالة قضية أمتهم وصلابة موقف بلادهم، ومن منطق شعورهم بمسؤوليتهم الوطنية والقومية، يناشدون السيد الرئيس بشار الأسد أن يتكرم بإصدار أوامره بالإفراج عن المعتقلين الموقوفين على خلفية إعلان دمشق ـ بيروت، وأن يأخذهم في عين الرعاية والعفو كونه يمثل القوة الأخلاقية لجميع أبناء الوطن»!

وفي حين أن المرء قد لا يجد نفسه مكترثاً حتى بتوجيه الملامة إلى مهندسي هذا البيان الفكاهي، فإن الملامة الشديدة، بل أكثر منها: أقسى التوبيخ، ينبغي أن تكون من نصيب سايمون تيسدول حين ينزلق إلى أغلاط شنيعة تاريخياً ومغالطات فادحة سياسياً. بين هذه، مثلاً، قول تيسدول إن «جبهة الخلاص الوطني»، المؤلفة أساساً من الإخوان المسلمين ونائب الرئيس السوري السابق عبد الحليم خدام، هي «في الكمون وعلى المدى البعيد أكثر إشكالية» لنظام بشار الأسد من تقرير الأمم المتحدة حول اغتيال رفيق الحريري، الذي من المتوقع أن يصدر منتصف هذا الشهر. أو مصادقته على حكمة ريم علاف، من أن هذه الجبهة هي «أول معارضة منظمة وذات مغزى ضد النظام، منذ أربعة عقود»!

هذا، بالطبع، جهل فاضح بطبيعة موقف الشارع السوري من رجل مثل خدام، ظل طيلة عقود أحد أكبر تجسيدات الفساد والإستبداد في سلطة حافظ الأسد ومن بعده وريثه بشار الأسد. وهو، في الآن ذاته، جهل فاضح بطبيعة هوامش الحركة السياسية والعقائدية التي تملكها جماعة الإخوان المسلمين في الشارع السوري، خلال العقود الأخيرة ومنذ اندلاع مواجهات العنف بينها وبين السلطة منذ أواخر السبعينيات عموماً، وأيضاً في المراحل الراهنة حين يبدو وكأن لقاء الإخوان ـ خدام لا يمثل فريقاً معارضاً عريض الأطياف والشرائح بقدر تمثيله لفريق متمفصل مذهبياً وعاجز أكثر فأكثر عن استقطاب فئات أخرى من أبناء المجتمع السوري (كما فعل «إعلان دمشق» مثلاً).

ومما يدعو إلى السخرية أن يرى تيسدول في مؤتمر «جبهة الخلاص الأول» في لندن هذه الأيام (هو الثاني للجبهة في الواقع، لأن الأول عُقد في بروكسيل قبل أشهر معدودات)، صيغة «تعاون غير مسبوق» بين زعيمين للمعارضة، علماني وديني. والحال أن خدام ليس زعيم معارضة، بادىء ذي بدء، ومن السخف أن يتخيله امرؤ في إهاب زعيم لمعارضة أخرى غير معارضته العائلية ـ على غرار اقتصاده العائلي! ـ المؤلفة من أبنائه وبعض أزلامه في أفضل التقديرات، فكيف بانقلابه إلى «رمز» للمعارضة! كما أنه ليس علمانياً، كيفما قلب المرء هذا المصطلح أو أقامه وأقعده، بالقدر الذي لا يجوز فيه اعتبار علي صدر الدين البيانوني، المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين «زعيماً دينياً» مثير للسخرية أيضاً كاكتشاف تيسدول الأرخميدي الجديد هذا، بصدد التعاون بين العلمانيين والإسلاميين، لأنه يبدو كمَن يجهل أو يتجاهل ان جماعة الإخوان المسلمين أنفسهم كانوا أصحاب المبادرة إلى عقد مؤتمر أول من هذا النوع في لندن، صيف 2002، ضم إسلاميين إخوانيين وإسلاميين غير إخوانيين، إلى ماركسيين ويساريين وقوميين وليبراليين.

وعند هذا المستوى، وهذه السوية، لا تنم معرفة تيسدول عن فقر مثير للشفقة فقط، بل يكاد المرء يرتاب في أن مصادر معلوماته تعمدت، عن سابق قصد وتصميم، أن تزيده ضحالة... على ضحالة!

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

العراق اصبح دولة الفشل المذهل!

جمال محمد تقي *

■ في آخر تقارير لجنة شؤون التنمية المستدامة ومعضلاتها حول العالم، والتابعة لمنظمة الامم المتحدة، هناك اشارة واضحة، لا تقبل الطعن، تقول ان العراق يقف في مقدمة الدول الفاشلة بعد الصومال وافغانستان، والفشل هنا فشل مستدام بالتمام والكمال!

انها شهادة تقدير جديدة، تمنحها المنظمات الدولية، لدولة الاحتلال الامريكي في العراق!

وستضيفها الى لوحة شهاداتها السابقة، لتزين بها جدران بيتها، البيضاوي الصبغة، والسوداوي الروح والعقل.

اليوم كل شيء في دولة العراق معرض للفشل، فشل كلوي يشمل البلاد والعباد، حتى الولادات اما مشوهة، او معاقة، او تحمل انواعاً غريبة عجيبة من الحساسيات، كيف لا؟ وهي دولة مستباحة ومسبية سباية اهل الحسين، دولة يخرب ويسرق منها وبها كل شيء من اجل ان لا يكون العراق عراقا، النفط، والماء، والغذاء، والكهرباء، والدواء، والخزينة والقوانين والوزارات، والجيش، والموظفين، والمتقاعدين، ارضا وشعبا، وثقافة ومصيرا، الكل سائر نحو الفشل المطبق.

بلاد نزل عليها الاجتثاث والاستئصال والالغاء والتفكيك والتصعلك والسمسرة، وتحميس جلد الذات باللطم والتطبير، نزول الصاعقة، مهيجا فيها كل ما فيها، من غبار حثالتها المتيبسة، والتي لفظتها منذ دهور وقرون وعقود، لقد نفضته عن نفسها بتجاوز مبدع، ومنذ دويلات المدن، ايام العراق الاول، العراق السومري، صحيح كانت هناك فترات ارتداد، لكنها ارتبطت دوما بالتقهقر المنفعل بعوامل خارجية، طبيعية كانت ام بشرية ، كالاوبئة والطواعين والجفاف والفيضانات، والغزو والاجتياحات البربرية كما في، التتر والمغول، ودول الخروف الاسود والابيض والصفويين والعثمانيين، وآخرها الغزو الامريكي الارهابي لعراقنا العصي والذي يحاول المحتلون العبث بمقدراته، وجعله يكتسب صفات ليست فيه بمساعدة المتساقطين، وارهابيي الطوائف من عراقيين وغير عراقيين، وصارت بلادنا تئن تحت جلدات الاحتلال واعوانه، لقد عملوا على ان تكون بلادنا التي استكبرت على نفسها الاقتناع بصكوك الغفران ومفاتيح الجنة، وانصر اخاك ظالما ومظلوما، بلادا لا يطيق اهلها رؤوس بعضهم ، بلادا يستعاد بها اليوم قول وفعل من اذلته، بعد ان جرب اذلالها «ارى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها وانا لها» لقد جعلته يمشي متلفتا يمينا وشمالا، جعلته لا ينام، ويهرب لحصن معزول طالبا السلامة، انه الحجاج، الذي لم يهنأ يوما واحدا بحكم العراق، بالرغم من الاعداد الهائلة للرؤوس التي دحرجها على صدور الالاف من اهلها ، كل شيء مباح مادام يفضي الى القطع الكلي مع عراق كان، عراق اليوم ينحدر تحت الصفر بشريا وماديا وفكريا، وتتصاعد فيه مقاييس الناقص، لتشمل كل شيء، حتى لا يعود هناك شيء.

درنات هوس القطع، والبتر العتيقة، والمتيبسة في تربته، يجري استنساخها واعادة تأهيلها، واعمارها لتسود وتجود في ارجاع البلاد واهلها الى ان تكون فعلا، ارضا معمرة بالشقاق والنفاق، لتنشغل عن مواجهة اجتياح وتسلط واستعباد برابرة الروم والاعاجم الجدد لها.

كان للبعد الحاد والرادع في موروث التعاطي مع الحلول لمشاكل الصراع والاختلاف والتباين والتنافر بحكم التشكيل الانثوغرافي والتاريخي، تجلياته المنحازة دوما لقطب حاسم وكلي النزعة، متجنبا التجريب في منطقة التغاضي، او التدرج، وحلول الوسط، التي يقل فيها استخدام النصل لذبح المشكلة، واعطاء فرصة للاستفادة من استقصاء علاجها بمراهم قد لا تحرم التفاعل الحيوي من طرف مهم فيه، عن طريق انهائه وقطعه وبتره وذبحه، نعم قد لا تنفع المراهم، والبلاسم في الخلاص من الغرغرينا، لكنها تعطي فضاء للامتلاء في علاج غيرها، اكثر من خواء القتل كعلاج، يفني ارواحا لم يأت زمنها، «اذبحها على قبلة ـ قص الرأس وموت الخبر ـ اقطع عرق وسيح دم ـ قطع الاعناق ولا قطع الارزاق ـ أجعلهم يتمنون الموت خوفا من الحياة ببترهم بترا ـ سينكرها لك المعاودون يوما فيجزعون ويفرون فرا»، وهذا النمط من القصب والسلخ في ادب الصراع والاختلاف هو وريث الحدة المترابطة مع الحراك القاسي، والفاعل، والمتآزم والمتشابك، عاشتها العديد من البلدان الاخرى، مثل ايطاليا، المانيا، اليابان، تركيا، الجزائر، لبنان، ايرلندا، وان كان للعراق فيها بصمة، فجذرها يعود الى المطاولة والمعاودة، بسبب موقعه وعمره الطويل في قمة التصارعات الحضارية، التي صيرته ليكون الاكثر حدة ورهافة، لقد عرف العراق عن حس الجمال وفنونه ما لم يعرفه احد، وعرف عن حس الموت والقتل والتعذيب وعلومها، ما لم يعرفه احد، انهما وجهان لعملة الذات الخفية والتي يستدعي اليوم وجهها القاتل، ان هذا الحاصل اليوم ليس قدرا لا مفر منه كما يراد له ان يكون، انه جريمة بفعل فاعل هيأت لها السبل ونبشت من اجلها النعرات والعنعنات، وما يثير العصبيات والفتن، الاحتلال ومن يجاريه من المراهنين، والامعات من العراقيين هم المجرمون بحق العراق وشعبه، كل شيء في هذا العراق ينحدر للفشل، الا عقول وضمائر الشرفاء من المرابطين والصامتين غيضا الى حين، والمقاومين من اجل استعادة العراق الذي كان، والذي نريده ان يكون.

الاعتراف بالخطأ والفشل صفة واثقة يتسم بها من يعتز بمنزلته، بينه وبين نفسه اولا ثم بينه وبين الاخرين، اي ان يكون في قرارة نفسه صادقا ومحترما لها، وبالتالي له منزلة حقيقية وصادقة بين الناس، وهذه الصفة تتصادم مع مركبات النقص في التكوين النفسي للافراد، كالمكابرة في الاصرار على الخطأ، والنرجسية الانوية وامراض الدونية، والشعور بالنقص التي تنم عن سريرة غير سوية، ان الاعتراف بالخطأ هي فضيلة نضج، وسلامة نفسية واخلاقية، ويمتاز بها من يتعفف عن تلويث يديه بتجاوزات يحاسب عليها القانون او العرف والاخلاق العامة والخاصة.

ما يهمنا هنا هو ممارستها على صعيد العمل العام، فمن يمارس نقد ذاته واعترافه بالفشل والخطأ مهما كانت درجته، هو فقط صاحب القيم السياسية البناءة والتقاليد الحصيفة والمتزنة والصادقة، والعكس صحيح.

سيدخل «العراق المحرر من سيادته واستقلاله وحريته واستقراره» عامه الرابع وهو ينحدر من سيئ الى اسوأ، وثبت بما لا يدع مجالا للشك، ان اصحاب هذا المشروع الاحتلالي واتباعه من عراقيي الجنسية قد فشلوا فشلا صارخا في كل مجال حاولوا تلميعه بالتزييف والخداع، انهم يثيرون الغبار باختلاق مشاكل جديدة هروبا من استحقاقات عمليتهم الكاذبة ، وعندما قال الشرفاء ان الباطل لا يلد الا باطلا، تطوعوا للتحدي بانهم سوف يثبتون خطل ما يقوله القائلون، ولم نجد شيئا مما وعدوا، غير الخراب والدمار والفساد والابادة الطائفية وانهيار مقومات الدولة التي يعتز بها كل عراقي.

اعترفوا بالفشل ودعوا الامر لاهله، عسى ان يغفر لكم هذا الشعب ذنوبكم، كونوا رجالا ولو لمرة واحدة، واعتذروا لشعب كنتم ادلاء عليه ومجرمين بحقه، وان استصعبتم ذلك، وهو ما يتوقع من امثالكم، اكشفوا كل الاوراق امام الناس ودعوا الناس تحكم وتختار حقا، فهل ستكونون من اصحاب الفضائل وتفعلونها؟

* كاتب من العراق

«العدل والمساواة» في دارفور تدخل بمقامرة خطرة

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

انتهت عند منتصف ليل الأربعاء أمس الأول آخر مهلة منحها الاتحاد الافريقي لفصائل التمرد الرافضة لتوقيع اتفاق السلام الذي تقدم به الاتحاد الافريقي ووقعت عليه الحكومة وأكبر فصائل التمرد (حركة تحرير السودان) في الخامس من ايار (مايو) الماضي. وقد رفض كلا الفصيلين المعنيين (وهما حركة العدل والمساواة بقيادة خليل ابراهيم، وفصيل حركة تحرير السودان الذي يقوده عبدالواحد محمد نور) التوقيع، مما يعرضهما لخطر العقوبات الدولية.

(2)

الخطر الأكبر الذي تتعرض له دارفور هو ظهور استقطاب عرقي جديد، بين القبائل المسماة افريقية هذه المرة. ذلك أن الانشقاق الذي شهدته حركة تحرير السودان وأدى إلى الإطاحة بقائدها عبدالواحد نور (وهو ينتمي لاثنية الفور الغالبة التي سمي الإقليم باسمها) لصالح زعيمها الحالي منى أركو مناوي (وهو من قبيلة الزغاوة التي ينتمي إليها رئيس تشاد الحالي إدريس دبي)، قد أدى إلى توتر في العلاقات بين قبائل دارفور، إضافة إلى التوتر القائم أصلاً بين عرب دارفور وأفارقتها. وقد تعقد الأمر بسبب تدخل تشاد في الصراع، وتشابك القضيتين.

(3)

للحركات الرافضة للاتفاق الحالي مبرراتها، لأن الاتفاق لم يحقق الكثير من المطالب للحركات المتمردة. ولكن الواقع هو أن الاتفاق الحالي اتفاق مفروض دولياً، وهناك إجماع نادر حوله من الاتحاد الافريقي والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة والولايات المتحدة والجامعة العربية وكل القوى الدولية الفاعلة. وقد صدر قرار من مجلس الأمن يدعم الاتفاق ويتوعد كل من يعرقله بأشد النكال. وقد استمعت الجهات الدولية لتحفظات الرافضين ولكنها مع ذلك بقيت على إجماعها الصلب على دعم الاتفاق بصورته الحالية.

(4)

هناك جهود حثيثة تبذل لإقناع فصيل عبدالواحد نور بالتوقيع تحديداً لتجنب الاستقطاب العرقي الذي أشرنا إليه أعلاه. وآخر هذه المحاولات اجتماع دعا له النائب الأول للرئيس السوداني الفريق سلفا كير ميارديت في مدينة ياي بجنوب السودان ويتوقع أن يلتئم خلال اليومين القادمين لإقناع نور بالتوقيع. من جانب آخر فإن هناك عدم اهتمام دولي بحركة العدل والمساواة التي تتهم بأنها متحالفة مع حزب المؤتمر الشعبي الذي يتزعمه الشيخ حسن الترابي، كما أنها متهمة بمتابعة أجندة الحكومة التشادية، خاصة بعد قيام زعيمها خليل ابراهيم (وهو أيضاً من الزغاوة) باحتلال السفارة السودانية في نجامينا في نيسان (أبريل) الماضي واحتجاز دبلوماسييها مما أثار استياء الدول الغربية التي تصنف مثل هذه الأعمال في خانة الإرهاب.

(5)

الاستمرار في رفض التوقيع يمثل مقامرة خطرة بالنسبة لهذه الأطراف. فمن جهة هناك عموماً استياء شعبي كبير من الاتفاق في أوساط مواطني دارفور، ويمكن للحركات الرافضة أن تأمل أن تزداد شعبيتها على حساب الموقعين بهذا السبب. ولكن الاستياء قد يكون من أثر تحريض الحركات الرافضة، خاصة وأن المواطنين العاديين لم يطلعوا على تفاصيل الاتفاقية، كما أن الحركات لن تجني ثمار شعبيتها هذه إلا إذا انهار الاتفاق وتجدد القتال. ولكن الأطراف الدولية مصممة على عدم السماح بانهيار الاتفاقية، كما أن خيار تجديد القتال سيضع الحركات الرافضة في مواجهة مباشرة مع المجتمع الدولي، وهو وضع سيكون كارثياً لقضية دارفور.

(6)

لعل من مصلحة حركة العدل والمساواة تحديداً الإسراع بالتوقيع على الاتفاق مع إعلان تحفظاتها لأنها كحركة سياسية لا تستند إلى قاعدة عرقية محددة، وتواجه منافسة قوية من داخل دارفور، قد تؤول إلى انقراض سريع إذا واجهت عداءً دولياً وداخلياً متزامناً. فمن الواضح أن حركات دارفور قد ضيعت فرصتها في الاستغلال الأمثل للتعاطف الدولي، كما أن الاستمرار في الرفض مع عدم وجود أي فرصة لتجديد القتال أو استقطاب الدعم الدولي سيعني أن الحركات الرافضة ستحرم من غنائم السلام ومن خيار الحرب في نفس الوقت، وهو وضع لا ينبغي لحركة سياسية أن تضع نفسها فيه.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364